الإصحاح السادس عشر

رحمـــــة اللـــه

" [1] لذلك كانوا أحقاء بان يعاقبوا بأمثال هذه و يعذبوا بجم من الحشرات . [2] أَمَّا شعبك فبدلاً من ذلك العقاب أحسنت إليهم بإعداد السلوى مأكلاً غريب الطعم أشبعت به شهوتهم . [3] حتى انه بينما كان أولئك مع جوعهم فاقدي كل شهوة للطعام من كراهة ما بعثت عليهم كان هؤلاء بعد عوز يسير يتناولون مأكلاً غريب الطعم. [4] فانه كان ينبغي لأولئك المقتسرين أن تنزل بهم فاقة لا مناص منها و لهؤلاء أنْ يروا كيف يعذب أعداؤهم لا غير. " (حك 16 : 1-4)

لذلك لأنهم عبدوا الحيوانات فكان عقابهم بهذه الحيوانات، وهنا الكاتب بعد أن استعرض مراجع يلخص في خاتمة الكتاب **(من إصحاح 16-19)** موضوع المقارنة بين المصريين وبني إسرائيل، إذ سوف يذكر الضربات التي ضُرِبَ بها المصريين وعلى العكس يذكر عناية الله ببني إسرائيل . في نفس الوقت الذي كان يعاني فيه المصريون كان يتنعم بني لإسرائيل ببركة الرب . ويضيف المؤلف إلى الرواية الكتابية القديمة المذكورة في سفر الخروج تفاصيل عديدة مفسراً إياها من كتاب الدراشي وهو كتاب تفسير الأسرار المقدسة . والآية الأولي من هذا الإصحاح تشير إلى عقابهم بالضفادع التي كانوا يعبدونها في وقت من الأوقات .. قارن **" [2] وان كنت تأبى أن تطلقهم فها أنا اضرب جميع تخومك بالضفادع . [3] فيفيض النهر ضفادع. فتصعد وتدخل إلى بيتك وإلى مخدع فراشك وعلى سريرك وإلى بيوت عبيدك وعلى شعبك وإلى تنانيرك وإلى معاجنك . [4] عليك وعلى شعبك وعبيدك تصعد الضفادع. " (خر 7 : 2-4)**

وفي نفس الوقت الذي كانت الحيوانات عقاب للمصريين كانت السلوى طعام لبني إسرائيل . والسلوى هي طيور ترحل من أفريقيا في الجنوب إلى الشمال في أسراب كثيرة العدد جداً، وقد صيد منها في إيطاليا ألف طائر في يوم واحد، وهي تطير في أسراب تشبه السحاب الكثيف . وقد أرسل الله كمية كبيرة من هذه الطيور إلى محلة العبرانيين ليأكلوا لحمها بعد أن تمردوا على موسى **" فكان في المساء أن السلوى صعدت وغطت المحلّة . وفي الصباح كان سقيط الندى حوالي المحلّة ." (خر 16 : 13) ، " فخرجت ريح من قبل الرب وساقت سلوى من البحر وألقتها على المحلّة نح و مسيرة يوم من هنا ومسيرة يوم من هناك حوالي المحلّة ونحو ذراعين فوق وجه الأرض." (عد 11 : 31)**

وقد طارت أسرابها من الجنوب عن طريق البحر الأحمر، فقطعت خليجي العقبة والسويس ووصلت إلى البر في شبه جزيرة سيناء، متعبة مرهقة، وإذا بدخان محلة العبرانيين يعاكسها فتسقط بالآلاف على الأرض فيسهل إمساكها باليد. والسلوى حلوة المذاق وهي تطير على ارتفاع ذراعين فوق وجه الأرض **" فخرجت ريح من**

قبل الرب وساقت سلوى من البحر وألقتها على المحلّة نحو مسيرة يوم من هنا ومسيرة يوم من هناك حوالي المحلّة ونحو ذراعين فوق وجه الأرض ." (عد 11 : 31)

وقد كان إرسال السلوى بهذه الكمية الوافرة مدة شهر كامل علامة من علامات عناية الله الكاملة بشعبه راجع **"[26] اهاج شرقية في السماء وساق بقوته جنوبية. [27] وأمطر عليهم لحماً مثل التراب وكرمل البحر طيوراً ذوات أجنحة . [28] أسقطها في وسط محلتهم حوا لي مساكنهم . [29] فأكلوا وشبعوا جداً واتاهم بشهوتهم. [30] لم يزوغوا عن شهوتهم طعامهم بعد في أفواههم . " (مز 78 : 26-30)**

وفي الوقت ذاته كان المصريين فاقدين شهوة الطعام لمعاناتهم من الحيوانات التي أطلقها الله عليهم . كان شعبك الذي لم يعانِ الجوع إلا وقتاً قصيراً ي تناول ذلك الطعام الشهي الغريب الطعم، فإنه كان من الضروري أن يُنْزِل بأولئك الظالمين جوع لا يرحم فيما يرى شعبك أعداءه يتعذبون . وعادة إننا لا نشكر الله على نعمته علينا إلا عندما نجد بعض الناس في ضيقة أشد منا، لأننا بمعاناتنا اليسير نعرف كم يعاني الآخرين.

"[5] و لما اقتحم هؤلاء حنق الوحوش الهائل و أهلكهم لدغ الحيات الخبيثة . [6] لم يستمر غضبك إلى المنتهى بل إنَّمَا اقلقوا إلى حين إنذاراً لهم و نصبت لهم علامة للخلاص تذكرهم وصية شريعتك . [7] فكان الملتفت إليها يخْلصُ لا بذلك المنظور بل بك يا مخلص الجميع . [8] و بذلك اثبت لأعدائنا انك أنت المُنْقِذ من كل سوء . [9] لأَنَّ أولئك قتلهم لسع الجراد و الذباب و لم يوجد لنفوسهم شفاء إذ هم أهل لأَنَّ يعاقبوا بمثل ذلك . [10] أَمَّا بنوك فلم تقو عليهم أنياب التنانين السامة لأَنَّ رحمتك أقبلت و شفتهم. " (حك 16 : 5-10)

التنانين السامة = الحيات السامة.

وعندما تذمر بنو إسرائيل عاقبهم الرب بالحيات السامة. وهنا يوضح أن الذي يحبه الرب يؤدبه . ومع أن الحيات كانت وحوش وتستطيع أن تقتل بسرعة هائلة، لكن كان مع التجربة المنفذ، وأنقذهم الرب بصنع الحية النحاسية التي كان كل من ينظر إليها يُشفى وه ي كانت رمزاً للسيد المسيح الذي هو خلاصنا . الذي رُفِعَ على الصليب وكان به الخلاص للعالم كله.

وعلى العكس، الحيات لا تؤذي شعب الله بل كان معها المخرج لكن المصريين بالجراد والذباب قام بقتلهم، مع أنها حشرات وحقيرة ولم يُجِد لها المنفذ أو الشفاء لأنهم كانوا يستح قون العقاب على خطاياهم وبعدهم عن الرب. قارن **" وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرْفَع ابن الإنسان." (يو 3 : 14)**

"[11] و إنَّمَا نخسوا ليتذكروا أقوالك ثم خلصوا سريعاً لئلا يسقطوا في نسيان عميق فيحرموا إحسانك . [12] و ما شفاهم نبت و لا مَرْهَم بل كلم تك يارب التي

تشفي الجميع. [13] لأَنَّ لك سلطان الحياة و الموت فتُحْدِر إلى أبواب الجحيم و تُصْعِد. [14] أَمَّا الإنسان فيَقْتُلُ بخبثه لكنه لا يعيد الروح الذي قد خرج و لا يسترجع النفس المقبوضة. (حك 16 : 11-14)

نبـت = نبـــات.

هكذا قام الرب بتأديبهم لكي يتذكروا أقواله وكان تأديبه باللدغ من الحيات، ثم يخلصنا الله بسرعة لكي لا نضل من كثرة الراحة، ولولا مراحم الرب لهلكنا . ولا مرهم ولا نبات طبي أو أعشاب طبية لأن المصريين كانوا يستعملون بعض الأعشاب في العلاج وهو ما يحدث حتى الآن في الريف أو صعيد مصر . **بل كلمتك يارب التي تشفي الجميع** .. وهنا كلمة الرب هو أقنوم الإبن **logoc** هو اللوجوس وهو أقنوم الإبن الذي خلصنا على الصليب من الموت الأبدي، كما أن الحية النحاسية عند النظر إليها خلصتهم من الموت.

قارن **" أرسل كلمته فشفاهم ونجاهم من تهلكاتهم ." (مز 107 : 20)** لأن كلمة الرب (أقنوم الإبن السيد المسيح) كان يقيم الأموات كما حدث في إقامة أبن أرملة نايين ... وأيضاً له سلطان إقامة الأموات حتى لو أنتن كما حدث في إقامة لعازر.. قارن **" انظروا الآن. أنا أنا هو وليس إله معي. أنا أميت وأحيي سحقت و أنى اشفي وليس من يدي مخلّص ." (تث 32 : 39)** وأيضاً **" والحي وكنت ميتاً وها أنا حيّ إلى ابد الآبدين آمين ولي مفاتيح الهاوية والموت." (رؤ 1 : 18)**

ويعلم سليمان الحكيم قدرة الله المطلقة على الحياة والموت .. راجع **" لكي احدث بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون مبتهجا بخلاصك ." (مز 9 : 14)** و **"[17] و الجهال من طريق معصيتهم ومن آثامهم يذلون. [18] كرهت أنفسهم كل طعام واقتربوا إلى أبواب الموت . [19] فصرخوا إلى الرب في ضيقهم فخلّصهم من شدائدهم. " (مز 107 : 17-19)** و **"[10] أنا قلت. في عزّ أيامي اذهب إلى أبواب الهاوية. قد أعدمت بقية سنيّ . [11] قلت لا أرى الرب . الرب في ارض الأحياء . لا انظر إنساناً بعد مع سكان الفانية . [12] مسكني قد انقلع وانتقل عني كخيمة الراعي . لففت كالحائك حياتي . من النول يقطعني . النهار والليل تفنيني . [13] صرخت إلى الصباح. كالأسد هكذا يهشم جميع عظامي . النهار والليل تفنيني . [14] كسنونة مزقزقة هكذا أصيح . أهدر كحمامة. قد ضعفت عيناي ناظرة إلى العلاء يا رب قد تضايقت. كن لي ضامناً. [15] بماذا أتكلم فانه قال لي وهو قد فعل . أتمشى متمهلاً كل سنيّ من اجل مرارة نفسي . [16] أيها السيد بهذه يحيون وبها كل حياة روحي فتشفيني وتحييني. [17] هوذا للسلامة قد تحولت لي المرارة وأنت تعلقت بنفسي من وهدة الهلاك فانك طرحت وراء ظهرك كل خطاياي. " (أش 38 : 10-17)**

يعلم سليمان أن الله لا يستطيع انتشال من أراد من خطر الموت فقط، بل بمعني أعمق أيضاً وهو أنه يستطيع أن يعيد الحياة الجسدية حتى إلى النفس التي نزلت إلى الجحيم .. راجع **"[17] وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتدّ مرضه جداً حتى لم تبق فيه نسمة . [18] فقالت لإيليا ما لي ولك يا رجل الله .**

هل جئت إليَّ لتذكير إثمي وإماتة ابني . [19] فقال لها أعطيني ابنك . و أخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التي كان مقيماً بها و أضجعه على سريره . [20] وصرخ إلى الرب وقال أيها ال رب الهي أأيضاً إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها. [21] فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال يا رب الهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه . [22] فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش. [23] فأخذ إيليا الولد ونزل به من العلية إلى البيت ودفعه لأمه. وقال إيليا انظري. ابنك حيّ. " (1مل 17 : 17-23) و **"[33] فدخل واغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلّى إلى الرب . [34] ثم صعد واضطجع فوق الصبي ووضع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه وتمدّد عليه فسخن ج سد الولد. [35] ثم عاد وتمشى في البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك وصعد وتمدّد عليه فعطس الصبي سبع مرّات ثم فتح الصبي عينيه ." (2مل 4 : 33-35)** و**" وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر اليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه " (2مل 13 : 21)**

يستطيع الإنسان أن ينفذ الحكم بالموت على المذنب .. لكنه لا يقدر أن يقيم أحد من الأموات، لأن إقامة الأموات هي من إختصاص الرب فقط.

"[15] انه ليس أحد يستطيع أَنْ يهرب من يدك . [16] فإنك قد جلدت بقوة ذراعك المنافقين الذين جحدوا معرفتك و أطلقت في إثرهم سيولاً و برداً و أمطاراً غريبة وناراً آكلة. [17] و اغرب شيء أَنَّ النار كانت في الماء الذي يطفئ كل شيء تزداد حدة لأَنَّ عناصر العالم تقاتل عن الصديقين . [18] و كان اللهيب تارةً يسكن لئلا يحرق ما أُرْسِلَ على المنافقين من الحيوان و لكي يبصروا فيعلموا أَنَّ قضاء الله على أعقابهم. [19] و تارةً يخرج عن طبع النار فيتأَجَّج في الماء لكي يستأصل أنبتة الأرض الأثيمة. [20] أَمَّا شعبك فبدلاً من ذلك أطعمتهم طعام الملائكة و أرسلت لهم من السماء خبزاً معداً لا تعب فيه يتضمن كل لذةٍ و يلائم كل ذوقٍ. [21] لأَنَّ جوهرك أبدى عذوبتك لبنيك فكان يخدم شهوة المتناول و يَتَحَوَّلُ إلى ما شاء كل واحد . " (حك 16 : 15-21)

رغم الأعمال التي عملها الرب مع المصريين، ورغم أنهم لم يسمعوا لموسى و**" فقال فرعون من هو الرب حتى اسمع لقوله فأطلق إسرائيل . لا اعرف الرب وإسرائيل لا أطلقه." (خر 5 : 2)** لذلك عاقبهم الرب بالسيول والبرد - وهو عبارة عن حجارة من الثلج - وقد حدث هنا في أستراليا منذ وقت قريب أن نزل البرد وحطم أكثر من عشرة آلاف منزل وحوالي ثلاثون ألف سيارة، وكانت تكاليف الإصلاحات بالمليار، وذلك نتيجة نصف ساعة فقط من نزول البرد حتى أن الأرصاد الجوية لم تستطع أن ترصده . فبالمقارنة يمكن تخيل هذه الضربة على المصريين، فقد قتلت المواشي وخربت الزرع والحقول والمحاصيل لأنها عبارة عن صخور مثل كرة الجولف .. قارن **" [23] فمدّ موسى عصاه نحو السماء . فأعطى الرب رعوداً وبرداً وجرت نار على الأرض و أمطر الرب برداً على ارض مصر. [24]**

فكان برد ونار متواصلة في وسط البرد. شيء عظيم جداً لم يكن مثله في كل ارض مصر منذ صارت أمة." (خر 9 : 23،24). فكان من الغرابة.

وهنا سليمان الحكيم يجمع معلومات أخرى في المدراش فيما يختص بالأمطار وما يختص بالنار وكيف كانت النار في وسط الماء ولم تنطفئ لأن عناصر الطبيعة كانت تساعد الأبرار وتقف ضد الأشرار، وكان اللهيب يهدأ أحياناً لئلا يحرق الحيوان أو الوحوش (الجراد) وأحياناً أخرى كانت النار تتأجج في الماء أكثر من قدرتها عادة على التأجج حتى تُتْلف غلة الأرض التي زرعها الآثمة أو الأشرار فكان البر د يقتل الزرع وكانت النار تحرق المحاصيل، وكان كل ذلك لهم لكي يعرفوا أنه يوجد إله. ولكي يتركوا بني إسرائيل ليعبدوا إلههم.

ومن ناحية أخرى بالنسبة لشعب الرب أنزل لهم المن السماوى وكان هو طعام الملائكة.. قارن **"[13] فكان في المساء أنَّ السلوى صعدت وغطت المحلّة. وفي الصباح كان سقيط الندى حوالي المحلّة . [14] ولما ارتفع سقيط الندى إذا على وجه البرية شيء دقيق مثل قشور. دقيق كالجليد على الأرض." (خر 16 : 13،14)** أو خبز الملائكة **" أكل الإنسان خبز الملائكة . أرسل عليهم زاداً للشبع ." (مز 78 : 25).** وكان له طعم قطائف بعسل **" ودعا بيت إسرائيل اسمه منّا . وهو كبزر الكزبرة ابيض وطعمه كرقاق بعسل" (خر 16 : 31).** وسُمِّيَ خبز السماء **" سألوا فاتاهم بالسلوى وخبز السماء أشبعهم ." (مز 105 : 40)** يصبح طعاماً يلائم كل ذوق وفيه كل طعم، ورمز لحلاوة الله.

والكنيسة اعتبرت منذ البداية المن رمز مبكر لجسد الرب. وقد أعطانا الرب المن الجديد في العهد الجديد ليس كما أكل آبائنا المن في البرية وماتوا ونتغنى بذلك في توزيع الأسرار المقدسة (خبز الحياة الذي نزل من السماء) وهو لحن " بي أويك إنتي بي أونخ ".

"[22] وكان الثلج و الجليد يثبتان في النار و لا يذوبان لكي يُعْلَ مَ كيف أَكَلَتْ ثمار الأعداء نار تلتهب في البرد و تبرق في المطر . [23] أَمَّا عند هؤلاء فقد تناست القوة التي لها لكي يغتذي القديسون. [24] إذ الخليقة الخادمة لك أنت صانعها تتشدد لتعاقب المجرمين و تتراخى لتحسن إلى المتوكلين عليك . [25] لذلك كانت حينئذ تتحول إلى كل شيء لتخدم نعمتك الغاذية الجميع على ما يشاء كل محتاج. [26] لكي يعلم بنوك الذين أحببتهم أيها الرب أَنْ ليس ما تُخْرج الأرض من الثمار هو يغذو الإنسان لكن كلمتك هي التي تحفظ المؤمنين بك. [27] إذ ما لم تكن النار تحله كانت شعاعة يسيرة من الشمس تُحْمِيه فيذوب. [28] حتى يُعْلَم أَنَّهُ يجب أَنْ نسبق الشمس إلى شكرك و نحضر أمامك عند شروق النور . [29] لأَنَّ رجاء من لا شكر له يذوب كجليد شتوي و يذهب كماء لا منفعة فيه. " (حك 16 : 15-21)

شبه هنا المن بالجليد **" ولما ارتفع سقيط الندى إذا على وجه البرية شيء دقيق مثل قشور . دقيق كالجليد على الأرض ." (خر 16 : 14)** كما يشبهه أيضاً بالندى **" ومتى نزل الندى على المحلّة ليلاً كان ينزل المنّ معه . " (عد 11 : 9)**

وهنا الكاتب يحب أن يشرح كيف يعتني الرب بأبنائه، فالنار كانت هلاك للمصريين وحرق زرعهم ولكن لبني إسرائيل لم تكن حتى تحرق المن النازل من السماء مع أنه كان عند أشعة الشمس ينحل كله . لكن الطبيعة كلها تخدم الله وتخدم أبناءه المؤمنين المتكلين عليه. فالنار فقدت قوتها بالنسبة لبني إسرائيل (القديسين) لكي يتغذوا.

وهنا في آية 24 تشبيه جميل للخليقة التي تكون قاسية على غير المؤمنين (المصريين) تتشهد أما بالنسبة لبني إسرائيل تتراخى وتكون حنونة عليهم، ونلاحظ أيضاً ما فعلته النار في الثلاثة فتية القديسين، فهي لم تؤثر عليهم ولكنها كانت تحرق الناس الذين رموهم وماتوا في النار . وأيضاً في جُبْ الأسود الخاص بدانيال لم تؤذهِ الأسود بينما بالنسبة للذين شهدوا عليه أكلتهم الأسود.

وينبه سليمان الحكيم هنا إلى أن الطعام ليس غاية ما يحتاجه الإنسان بل كل كلمة تخرج من فم الله .. أنظر **" فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ." (مت 4 : 4).** فالطعام الذي لم تتلفه النار ذاب سريعاً عندما لحقه أول أشعة الشمس .. قارن **" وكانوا يلتقطونه صباحاً فصباحاً. كل واحد على حسب أكله . وإذا حميت الشمس كان يذوب ." (خر 16 : 21)** وذلك حتى نعلم أنه يجب أن نستيقظ قبل طلوع الشمس يا رب لأنك تقول **" أنا احب الذين يحبونني والذين يبكّرون إليَّ يجدونني." (أم 8 : 17).**

ونصلي إليك ونشكرك عند الفجر **لأَنَّ رجاء من لا شكر له يذوب كجليد شتوي و يذهب كماء لا منفعة فيه .** لأنه ليس عطية بلا زيادة إلا التي بلا شكر .. فلابد من شكر الرب دائماً . ويقول قداسة البابا : نحن نشكر الرب على المشاكل والمضايقات التي أخرجنا منها، ولكننا لابد أن نشكره أيضاً على أنه كان يوجد مصائب ومشاكل قادمة لنا لكن الرب بمحبته لنا منعها عنا ولا نعرف عنها شئ . فلابد من شكر الرب ونحن نقول نشكرك يارب على كل حال ومن أجل كل حال وفي كل حال .. قارن **" استيقظ يا مجدي . استيقظي يا رباب ويا عود أنا استيقظ سحراً." (مز 57 : 8)** و **" أما أنا فإليك يا رب صرخت وفي الغداة صلاتي تتقدمك." (مز 88 : 13)** و **" في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك ." (مز 119 : 62)**

وهذا الجزء نجده في الآجبية حيث نصلي في صلاة باكر قائلين : سبقت عيناي وقت السحر لأتلو في أقوالك .. وهو مقتبس من الإصحاح 16 عدد 28 حيث يقول **" حتى يُعْلَم أَنَّهُ يجب أَنْ نسبق الشمس إلى شكرك و نحضر أمامك عند شروق النور. "** . وأخيراً إن الذي لا يشكر مثل الماء لا ينفع للشرب أو للنظافة .. قارن **"[6] اللهم كسّر أسنانهم في أفواههم. أهشم أضراس الأشبال يا رب. [7] ليذوبوا كالماء ليذهبوا. إذا فوّق سهامه فلتنب." (مز 58 : 6،7)**